

المحاضرة الخامسة: النقد الاجتماعي

1- مقدمة:

المنهج الاجتماعي هو المنهج الذي يربط بين الأدب والمجتمع بطبقاته المختلفة، فيدرس الظاهرة الأدبية على اعتبار أنها جزء من النظام الاجتماعي، كما يدرس أسباب نشأتها وتفاعلها مع الأنظمة الأخرى والغاية التي ترمي إليها، وبذلك يكون الأدب ممثلاً للحياة على المستوى الجماعي لا الفردي، ويصبح المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الأدبية.

2- نشأة النقد الاجتماعي وتطوره:

تعود البدايات الأولى للنقد الاجتماعي إلى الفيلسوف أفلاطون، الذي يعد أول ناقد يهتم بالناحية الاجتماعية، ويعتبرها معياراً لاستحسان الشعر، فقد حوت جمهوريته المثلى الشعراء الذين تدعو أشعارهم إلى تأجيج حماسة المحاربين، بينما طرد الشعراء الذين تفسد أشعارهم أخلاق الناس. وهي إشارات ذات بعد اجتماعي للأدب. وفي العصر الحديث يعد الفرنسي تان أول من أقام دراسات وأبحاث جادة تربط بين الأدب والمجتمع، ونظر للأدب على أنه انعكاس للمجتمع، لما للبيئة من دور بارز في صياغة شكل الظاهرة الأدبية.

ولقد أسهمت نظرية الانعكاس التي ظهرت في القرن التاسع عشر مع النقد الماركسي، في صياغة مفاهيم متطورة تدعو إلى الانفتاح على الواقع الاجتماعي والثقافي والإبداعي، فيصبح الإبداع وفقاً لهذا الطرح انعكاساً للمجتمع، يصوغه المبدع بطريقة واعية وفي شكل فني يعبر عن الذات المبدعة، فالانعكاس لا يعني النقل الحرفي للمجتمع بقدر ما يعني المشاركة الصادقة لمشاكل وهموم وتطلعات هذا المجتمع، وإعادة صياغتها في حلة فنية مؤثرة، تبرز فيها جمالية الذات المبدعة وهي تتفاعل مع الذات الجماعية في انسجام واتساق شديدين، بحيث يصعب الفصل بين الذاتين.

وتعد جهود مادام دوستايل في هذه المجال مفصلية وحاسمة، لاسيما بعد إصدارها لكتاب "حول الأدب من حيث علاقته بالنظم الإجتماعية"، وقد أكدت من خلاله أنه لا يمكن فهم الأدب وتذوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن الظروف الاجتماعية التي أدت إلى ظهوره. ثم يتعاقب نقاد وباحثون، يطورون في كل مرة نظريات هذا النوع من النقد، ففي منتصف القرن العشرين يقدم جورج لوكاش مؤلفه "الرواية التاريخية" الذي حاول من خلاله المزوجة بين النظرتين الإجتماعية والتاريخية للأدب.

ثم يأتي غولدمان الذي بدا متأثرا كثيرا بسابقه، ويصدر كتاب "سوسولوجيا الرواية" الذي يؤكد من خلاله على أن الأعمال الأدبية المكتوبة في فترات زمانية معينة هي عبارة عن بنيات دلالية تعكس رؤية الأديب للواقع أو العالم.

3- المنهج الإجتماعي في النقد العربي الحديث:

لقد ظهرت إشارات المنهج الإجتماعي في النقد العربي منذ القديم، وذلك من خلال نقد المجتمع وبعض سلوكياته، كما فعل الجاحظ في كتابه "البخلاء"، حيث ربط بين اللفظ الشريف والمعنى الشريف عند بشر بن المعتمر. بالإضافة إلى بعض الملاحظات والتعليقات المتناثرة في متون النقد القديم كتلك التي تحرص على رص الصلة بين المستوى التعبيري ومستوى المتلقين. لكنها ظلت مجرد إشارات ولم ترقى إلى مستوى الدراسات.

أما في العصر الحديث فقد تلقى العالم العربي هذا المنهج وهو يشهد تطورات اجتماعية وسياسية كبيرة، تمثلت أساسا في حركات التحرر القومي من الاستعمار، وكان لزاما أن يستجيب الأدب والنقد لتلك المتغيرات، وتجلت تلك الاستجابة من خلال المواقف من طروحات الماركسيين، التي تمثلت في الأحاديث والمناقشات والمعارك الأدبية والفكرية التي دارت بين فريق من الأدباء والنقاد كأحمد أمين وسلامة موسى وتوفيق الحكيم وغيرهم.

وقد ظهرت عديد المؤلفات ذات التوجه الإجماعي، مثل: "في الثقافة المصرية" لصاحبيه محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، وظهر أيضا كتاب "دراسات في ضوء المنهج الواقعي" لحسين مروة، وقد أصدر سلامة موسى أيضا كتابه "الأدب والمجتمع" الذي انتصر فيه للأدب الجديد مقابل الأدب القديم، على اعتبار أن الجديد أصدق في التعبير عن مشاعر النفس الإنسانية.

وتوالى ظهور الأسماء العربية التي ساهمت بشكل أو بآخر في بلورة هذا المنهج، نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر: سلامة موسى، لويس عوض، عصام حنفي ناصف، عمر فاخوري، غالي شكري، فريدة النقاش، عبد الرحمان ياغي، وغيرهم كثيرون.

4- خاتمة:

يسعى المنهج الاجتماعي إلى تناول الظاهرة الأدبية في علاقاتها مع مختلف الظواهر الاجتماعية، بعيدا عن مفهوم الانعكاس المباشر لهذه الظواهر، وإنما إعادة صياغتها بما يتناسب والأساليب الفنية والإبداعية.

5- قائمة مراجع مفيدة للمحاضرة:

- محمود تيمور: اتجاهات النقد الأدبي في السنين المائة الأخيرة، المطبعة النموذجية، مصر .
- محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، مكتبة الأزهر، القاهرة .
- محمد مصطفى هدارة، التجديد في شعر المهجر، دار الفكر العربي، 1957.
- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996.
- محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، د. ط .

- محمد مندور: في الميزان الجديد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004 .
- ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي - إضاءة لأكثر من سبعين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2002.